العملية

محمود سالم

العملية

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

العملية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٨ ٢٧٦٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مفاجأة ... لم يتوقعها أحد!	١١
عندما ظهرت الشجرة ... فجأة	١٧
العصابة ... تلعب لُعبةً أخرى	٢١
اكتشاف «جان بريم»	٢٥
معركة العربات الضخمة	٢٩
نصف النقل تقوم بالمهمة!	٣٥

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مفاجأة ... لم يتوقعها أحد!

انتهى الجزء الأول من مغامرة «العملية المزدوجة» في مطار «أورلي» في باريس، عندما استطاعت المجموعة الأولى من الشياطين أن تأخذ عالِم الإلكترونيات «أليك كرو»، وتُرسله إلى المقرِّ السري بمصاحبة «إلهام».

وكان رقم «صفر» قد أخبر الشياطين أنَّ هناك صراعًا بين عصابتَي «سادة العالم» و«اليد الحديدية»؛ فقد اتَّهمَت عصابةُ «اليد الحديدية» عصابةَ «سادة العالم» بأنَّها خطفَت «أليك كرو»، وثار بينهما صراعٌ عنيف. وحتى تقضيَ عصابةُ «سادة العالم» على الصراع، ادَّعت أنَّ «أليك كرو» ليس عندها، وأنَّه يعيش حياتَه العادية، وأنَّه سوف يتناول عشاءَه في الساعة الخامسة مساءً في مطعم «مكسيم». وقامت عصابة «سادة العالم» بعمل خدعة ذكية؛ فقد أحضرت خبيرًا في الماكياج والخِدَع السينمائية، يُدعَى «جان بريم». وطلبت منه أن يصنع خدعة تُوحي بأنَّ «أليك كرو» قد أُطلق عليه الرصاص في مطعم «مكسيم»، وهو يتناول عشاءه، وسوف تكون الخدعة أن يدخل بعض رجال «سادة العالم» إلى المطعم، ويُطلقون طلقات صوت على «أليك كرو» فيسقط على الأرض، ويبدو أنَّه انتهى. في نفس الوقت، يكون هناك آخرون من نفس العصابة يرتدون ملابس الشرطة الفرنسية، يدخلون المطعم عند سماع صوت الطلقات، وينقلون «أليك كرو» في سيارة إسعاف. وهكذا يبدو أمام الجميع أنَّه انتهى. والحقيقة أنَّه اختفى نتيجة الخدعة في نفس الوقت وكان هناك خبير الماكياج، الذي سوف تقضي عليه العصابة؛ لأنَّه الوحيد الذي يعرف السرَّ، ولهذا كانت العملية مزدوجة؛ فمهمة الشياطين؛ أولًا: الحصول على «أليك كرو» وإنقاذ «جان بريم».

وخرجت مجموعتان من الشياطين، كلُّ مجموعة لتنفيذ جزء من «العملية المزدوجة». كانت المجموعة الأولى تضم: «أحمد» و«إلهام» و«قيس» و«عثمان» و«فهد»، والثانية تضم: «بو عمير» و«باسم» و«خالد» و«مصباح» و«رشيد». وفي الوقت الذي كانت المجموعة الأولى

تعمل داخل المطعم، كانت المجموعة الثانية تعمل خارجه. واستطاعت المجموعة الأولى فعلًا أن تدخل المطعم في اللحظة المناسبة، وهي ترتدي ملابس الشرطة الفرنسية، وأن تخطف «أليك كرو». ولكن، لم تكن العملية سهلة؛ فقد حدَث صراعٌ عنيف بين عصابة «سادة العالم» والمجموعة الأولى من الشياطين، انتهت بإنقاذ «أليك كرو»، حيث أوصله «أحمد» و«إلهام» إلى مطار «أورلي» في «باريس»، حيث كانت تنتظر طائرة الشياطين الخاصة، كي تنقلَه إلى المقرِّ السريِّ للشياطين الـ ١٣. أمَّا المجموعة الثانية من الشياطين، فقد كانت لإنقاذ «جان بريم».

كان «أحمد» قد انتهى من توصيل «أليك كرو» إلى المطار، هو و«إلهام». وعاد «أحمد» لينضمَّ إلى المجموعة الأولى. في حين كانت المجموعة الثانية تقوم بمطاردة رجال عصابة «سادة العالم» لإنقاذ «جان بريم».

كان «أحمد» يقود سيارته عائدًا من المطار. فجأةً، ظهرت شبورة مائية تُغطِّي الطريق. فكَّر «أحمد»: إنَّ هذه الشبورة يمكن أن تُعطِّلني تمامًا، بجوار أنَّ حوادث الطريق تأتي معظمها في هذه الحالات.

مدَّ يدَه، وضغط زِرَّ التوجيه في السيارة، فأصبحت تمشي وحدها، بالإضافة إلى أنَّ جهاز التوجيه فيها، يتفادَى أيَّ عائق يمكن أن يظهر.

قال في نفسه: لا أظن أنَّ رجال العصابة ما زالوا في الطريق بعد المطاردة المثيرة التي حدثت بيني وبينهم.

ولكن فجأةً، سجَّل رادارُ السيارة أجسامًا سوداء تعترض الطريق، حتى تكاد أن تسدَّه. قال في نفسه: هل تكون سيارات العصابة؟ أو أنَّها مجرد حادثة من هذه الحوادث التي تقع في هذا الجو الغائم؟

فكَّر قليلًا، ثم قرَّر أن يُرسل رسالة إلى المجموعة الأولى ليعرف مكانها. أخرج جهاز الإرسال، وأرسل رسالة شفرية، كانت الرسالة تقول: «٢ – ٣٠ – ٥٤» نقطة «٢ – ٥٤ – ٦ – ٥٢» انتهى. بسرعة، جاء الرد يقول: «٤٤ – ٣٠» نقطة «٢ – ٥٠ – ٥٤ – ٤٦ – ٢٦ – ٥٦» نقطة «٥٢» انتهى.

قال «أحمد» في نفسه: إنَّها منطقة بعيدة، وهذا يعني أنَّهم يتجهون خارج باريس.

كانت السيارة تقترب من الأجسام السوداء الواضحة على شاشة الرادار، وبتأثير الشبورة، لم يكن يستطيع رؤية التفاصيل. فكَّر قليلًا، ثم أخذ يقرأ إرشادات موجودة في تابلوه السيارة، ثم ابتسم. قال في نفسه: رائعٌ، إن كانت سيارات العصابة، فلن يروني أبدًا.

اقتربَ أكثر. ثم فجأةً، انطلقَت أضواءٌ حادة في اتجاهه، حتى إنَّه اضطرَّ أن يُغمضَ عينَيه. في نفس اللحظة ضغط زِرًّا في تابلوه السيارة، فانطلقت أضواء أقوى من الأضواء التي أمامه، وبسرعة استطاع أن يرى عددًا من السيارات، عرف أنَّها سيارات العصابة فعلًا.

قال في نفسه: إنَّها معركة ضرورية، لكنَّ دخولها ليس من الشجاعة. كانت سيارتُه تقترب بسرعة. في نفس الوقت، رأى عددًا من الرجال وهم يحاولون أن يحجبوا عن أعينهم ضوءَ سيارته بأيديهم. اقتربَ أكثر، فضغط زرًّا في التابلوه، جعل مقدمة السيارة ترتفع، ثم تطير في الهواء، لتمرَّ من فوق السيارات الواقفة. في نفس اللحظة، التي انحنى فيها الرجال — وكأنَّهم شعروا أنَّ سيارته سوف تهبط فوق رءوسهم — ضَحِك وهو يراهم على هذه الصورة. وعندما لامسَت عجلاتُ سيارته الأرضَ، انطلق بسرعة. ولكن فجأةً، رأى عربةَ نقلٍ ضخمة أمام سيارته مباشرة، بمسافة لا تستطيع إلا أن تصطدمَ بها. فكَّر بسرعة، لكنَّه لم يَصِل إلى شيء. ... أغمض عينَيه، وألقى بنفسه تحت عجلة القيادة، انتظر، تخيَّل أنَّه سوف يسمع صوتَ الاصطدام المخيف، لكنَّه لم يسمَع شيئًا مما انتظره. قال في نفسه: لعل عربة النقل تسير بسرعة كبيرة، وهذا يحتاج لوقت، حتى يتمَّ الاصطدام. لكن شيئًا لم يحدث أيضًا. فجأةً، سمع صوت طلقات رصاص تصطدم بمؤخرة السيارة. قال في نفسه: لا بد أنَّهم يطاردونني الآن، لكن، ماذا حدث لعربة النقل؟!

بدأ يرفع وجهَه في حذر، ثم جلس على المقعد، ولم يجد أمامه شيئًا، حتى عربة النقل لم تكن موجودة. نظر من الزجاج الخلفي، فرأى عربة النقل تسير بعيدًا. ضرب تابلوه السيارة في سعادة، وهو يهتف: شكرًا لك أيتها السيارة الرائعة.

مرةً أخرى، بدأ يسمع صوت طلقات الرصاص بمؤخرة السيارة. ابتسم؛ فهو يركب سيارة مدرعة، ولا تستطيع طلقات الرصاص مهما كانت أن تؤثر فيها. ومن بعيد، رأى سيارات العصابة وهي تتسابق إليه. لكن سرعة سيارته كانت عالية تمامًا، بدرجة لا تجعل أيَّ سيارة أخرى تتمكن من اللحاق بها.

قال في نفسه: إنَّ هذا لا يكفي، فمن المهم أن يفقدوا أثري. فكَّر قليلًا، ثم ابتسم. أخذ يُقلِّل من سرعة السيارة حتى يُعطيَ فرصةً للسيارات الأخرى، كي تلحق به. وعندما أصبحت قريبة منه، بمسافة تكفي لِما فكَّر فيه، ضغط زرًّا في التابلوه، فانطلقت عاصفةٌ من الدخان، غطَّت الطريق تمامًا، نظر من الزجاج الخلفي، فرأى بين سُحُب الدخان ضوءَ فوانيس السيارات الحمراء، وهي تصطدم ببعضها ... ابتسم، وهو يقول: الآن، انتهت المطاردة.

ثم رفع سرعة السيارة مرة أخرى، بعد أن حدد بواسطة البوصلة اتجاه مجموعة الشياطين الأولى.

كان الطريق هادئًا، بعد أن انحرف يمينًا عن الطريق الرئيسي. وكان الليل بديعًا، وهو يقطع الطريق في الريف الفرنسي، كانت الطرق مضاءة بدرجة كافية، تجعله يرى كلَّ شيء جيدًا. أدار جهاز الراديو، فانطلقت موسيقى هادئة. فجأةً استقبل جهازُ الاستقبال رسالةً شفرية، تقول: «٢ – ٢٨ – ٦ – ١٠ – ٢ – ٥٦» نقطة «٥٢ – ١٦ – ٣٠ – ٥٤ – ٥٦» نقطة «٢٠ – ٢ – ٥٤ – ٢٢» انتهى.

عندما تلقَّى الرسالة، امتلأ وجهُه بالدهشة. فهم يتَّجهون إلى الجنوب الفرنسي. قال في نفسه: إنني أعرف مدينة «رانز» جيدًا، لكن، لماذا هذه المدينة بالذات؟

فجأةً، تردَّدت إشارةٌ ضوئية أمامه، دُهش مرة أخرى. إنَّ هذه إشارة الشياطين، ولا يعرفها سواهم، فمَن الذي يستخدمها؟!

ردَّ على الإشارة الضوئية، بإشارة أخرى مختلفة حتى يتأكد، فجاءه الردُّ بإشارة ثالثة. وبرغم أنَّ هذه الإشارات لا يعرفها سوى الشياطين، إلا أنَّه ظل يشكُّ. فجأةً، رنَّ جرس التليفون في السيارة. فرفع السماعة، ثم ابتسم. فقد كان «عثمان» هو الذي يضحك.

قال «أحمد»: لماذا جئتم من هذا الطريق؟!

جاءه صوتُ «عثمان» يقول: إنَّ هذا أقصر طريق إلى «رانز».

ثم ضحك مرة أخرى، وهو يُضيف: بجوار أننا كنَّا نريد أن نُفاجئَك.

ابتسم «أحمد»، وقال: إنَّها مفاجأة رائعة، وإن جاءت متأخرة!

سأل «عثمان»: لماذا؟

أجاب «أحمد»: كانت هناك معركة مثيرة، لكن لم أدخلها.

قال «عثمان»: ينبغي أن نترك سيارتنا في أقرب محطة بنزين، سنتحرك بسيارة واحدة.

ثم أضاف بسرعة: إنَّ أول محطة، تبعد عنا بمسافة كيلومتر واحد فقط، اللقاء هناك.

في دقائق، كان «أحمد» يدخل محطة البنزين، وخلفها مباشرة كانت سيارة المجموعة تدخل هي الأخرى. نزلوا منها بسرعة، بعد أن أوقفوها في موقف جانبي، ثم انضموا لـ «أحمد»، ومن جديد، أخذتِ السيارةُ طريقَها إلى مدينة «رانز».

سأل «أحمد»: هل هناك إشارة من المجموعة الثانية؟!

ردَّ «فهد»: نعم، فقد استطاع «رشيد» أن يُرسل فراشة التصقَت بمؤخرة السيارة التي خطفوا فيها «جان بريم»، وكانت متجهة نحو «رانز».

سأل «أحمد»: ثم ماذا؟

قال «فهد»: لم نتلقَّ منهم شيئًا حتى الآن.

مرَّت لحظات، قبل أن يقول «أحمد»: إذن، لا بد من رسالة سريعة إليهم، حتى نعرف آخر التطورات.

ولم يكَد ينتهي «أحمد» من جُملته، حتى حدث ما لم يفكروا فيه، أو يتوقعوه.

عندما ظهرت الشجرة ... فجأة

توقَّفت السيارة فجأة، وظهرَت شجرة ضخمة تسدُّ الطريق. نظر الشياطين إلى بعضهم، فقد كانت الشجرة تقف عند مقدمة السيارة تمامًا.

قال «فهد»: هذه الشجرة سقطَت الآن فقط، وإلا كانت السيارة قد طارَت من فوقها مباشرة أو انحرفت عنها.

نظر «أحمد» بسرعة خارج السيارة، كانت مجموعة من الرجال تقترب وهي تحمل الفئوس.

قال: ينبغي أن نتصرَّف بحذر، فأمامنا معركة ليست سهلة.

وفي هدوء، فتح باب السيارة ثم نزل بسرعة، لقد كان يفكِّر: من الممكن أن تكون السيارة هدفهم، والتعامل معهم هو الحل.

توقَّفت مجموعة الرجال في نصف دائرة أمام السيارة. قال «أحمد» في نفسه: لقد كسروا الشجرة بهذه الفئوس في الوقت المناسب. قال أحدهم بصوت حادٍّ: انزلوا جميعًا.

نظر «أحمد» إلى الشياطين، فنزلوا الواحد بعد الآخر.

قال الرجل: ابتعدوا عن السيارة.

سأل «أحمد» بطريقة هادئة: هل هناك سبب؟

ردَّ الرجل: سوف تعرفون السببَ بعد قليلٍ.

ابتسم «أحمد»، وقال: لا نظن أننا ارتكبنا خطأً ما.

قال الرجل: لقد ارتكبتم الخطأَ الهامَّ، وسوف تندمون عليه.

ثم أضاف بسرعة: مع مَن تعملون؟

أبدى «أحمد» دهشةً، وتساءل: ماذا تقصد؟

قال الرجل: أظن أنَّك تفهمني جيدًا، فقد التقينا في مطعم «مكسيم».

فهم «أحمد» بسرعةٍ أنَّ هؤلاء تابعون لإحدى العصابتَين؛ إمَّا «سادة العالم» أو«اليد الحديدية»، لكنَّه أخفى ذلك، وقال: إنني لم أتردَّد على مطعم «مكسيم» منذ فترة.

ضَحِك الرجل، وقال: أعرف ذلك، لكنك كنت هناك اليوم.

ابتسم «أحمد»، وقال: ربما يكون هناك خطأ ما.

بينما كان «أحمد» في حواره مع الرجل، كان بقية الشياطين يراقبون الموقف، ويبحثون عن حلٍّ. وكان أكثرهم توقعًا هو «عثمان»، فقبل أن ينزل من السيارة، أخذ في يده عدة كرات من الدخان، وانتظر حتى يرى إلى أين سوف تذهب المحاورة بين «أحمد» وأفراد العصابة.

قال «أحمد»: ما الذي تريدون أن نفعله؟!

قال الرجل: ابتعدوا عن السيارة.

تحرَّك «أحمد» وهو يبتسم. في نفس الوقت الذي كان يفكر فيه في حلٍّ، إلا أنَّ «عثمان» كان قد نفَّذ الحلَّ فعلًا، فقد ترك كرات الدخان تسقط على الأرض. وفي الوقت الذي تحرك فيه، كان يهمس بلغة الشياطين: الموقف في أيدينا.

ابتعد الشياطين عن السيارة بمسافة كافية، في نفس الوقت الذي بدأ فيه رجال العصابة يقتربون منها. فجأةً، بدءوا يَسعُلون؛ فقد كانت كرات الدخان قد بدأ مفعولها. وبسرعة، كان الشياطين يقفزون في اتجاه الرجال. قفز «أحمد» قفزة واسعة، وفتح رجلَيْه، ثم ضرب اثنين منهما بقوة، فاصطدمَا بآخرين، في نفس الوقت، كان «عثمان» قد أمسك أحدهم، ودار به دورة كاملة، ثم تركه فجأة، فأخذ الرجل يدور حول نفسه، وهو يتراجع، حتى اصطدم بزميله الذي كان «فهد» قد ضرَبه ضربة قوية، جعلَتْه يتراجع بسرعةٍ، فسقط الاثنان على الأرض. كان أفراد العصابة لا يقاومون، فقد أثَّر فيهم الدخان؛ ولذلك فإنَّ المعركة لم تستغرق وقتًا. وعندما فرغ الشياطين منها، وقفوا ينظرون إلى الرجال الذين تناثروا على الأرض بلا حَراكٍ.

وقال «أحمد»: لقد كان توقُّعُ «عثمان» ممتازًا.

ابتسم «عثمان»، وقال: إنَّ هذه لُعبة الشياطين.

وبسرعةٍ، قفزوا إلى السيارة، فجلس «فهد» خلف عجلة القيادة، وتراجع بالسيارة بقوةٍ، حتى ابتعد عن الشجرة، ثم رفع سرعتها، وضغط زرَّ الارتفاع، فطارت السيارة فوق الشجرة حتى تجاوزَتْها، ثم هبطت على الأرض، مندفعةً إلى الاتجاه الجنوبي، حيث مدينة «رانز.» فجأةً، سجل جهاز الاستقبال رسالة، عرف «أحمد» أنَّها من المجموعة الثانية.

كانت رسالة شفرية، تقول: «٢ – ٥٠ – ٥٠ – ٤٦ – ٢ – ٢» نقطة «٤٤ – ٣٠» نقطة «٤٨ – ٥٤ – ٣٠ – ٢٤ – ٥٦» نقطة «١٠ – ٢ – ٥٤» نقطة «١٦ – ٢ – ٢٠ – ٤٨» نقطة «٤ – ٤٠ – ١٦» نقطة «٨ – ٢٨ – ٨» نقطة «٥٠ – ٤٦ – ٢ – ٣٦» انتهى.

قرأ «أحمد» الرسالة للشياطين، فقال «عثمان»: إنَّها مبنًى رائع.

وقال «فهد»: إنَّ «جان دارك» أسطورة حقيقية؛ ولذلك خلَّدوا اسمها بهذا المبنَى الرائع، وهو يقع في ميدان «جان دارك»، في قلب مدينة «رانز».

نظر «أحمد» في تابلوه السيارة، ثم أجرى عملية حسابية سريعة، فعرف أنَّ أمامهم عشرين كيلومترًا، حتى يصلوا إلى «رانز.» وكان هذا يعني بالسرعة التي يسيرون عليها، عشر دقائق فقط. قال: علينا أن نستعدَّ، فإنَّ لحظة اللقاء قد اقتربت.

قال «قيس»: أقترح أن نترك السيارة بعيدًا عن الميدان، ثم نصل إلى المبنى سيرًا على الأقدام.

فكَّر «أحمد» لحظةً، ثم قال: لاحِظْ أنَّ الساعة تقترب من منتصف الليل الآن، وسوف نجد مدينة «رانز» نائمة تمامًا.

ردَّ «قيس»: إننا فقط سوف نَصِل حسب موعد الرسالة.

ظهرَت أضواء مدينة «رانز» على البعد. وعندما دخلوا المدينة كانت هادئةً، كما قال «أحمد»؛ ولذلك قال «قيس»: أقترح أن نترك السيارة في شارع جانبي، حتى لا تلفتَ نظرَ أحدٍ.

وافق الجميع على اقتراحه، وعندما اقتربوا من الميدان، انحرف «فهد» إلى شارع جانبي، ثم أوقف السيارة، فنزل الشياطين بسرعة، واتجهوا إلى ميدان «جان دارك». كان الميدان لامعَ الضوء، وفي مواجهته تمامًا كان يقف المبنى القديم.

قال «أحمد»: أقترح أن يذهب اثنان فقط إلى هناك.

تحرَّك «أحمد» و«فهد»، في حين بقيَ «عثمان» و«قيس» يرْقُبان المنطقة جيدًا، قطع «أحمد» و«فهد» الميدان، واتجهَا إلى المبنى. كان يبدو غامضًا مثيرًا، وكانت بوابته الحديدية مغلقة، والأضواء خافتة.

همس «فهد»: إنَّ المكان يبدو خاليًا تمامًا.

ردَّ «أحمد»: لعل هناك شيئًا لا نعرفه.

فجأةً، ظهر رجل عجوز في داخل المبنى، واقترب منهما، ثم همس: إنني «خالد».

فوجئ «أحمد» و«فهد»؛ فهمس «أحمد»: ماذا هناك؟!

ردَّ «خالد»: إنَّ وكر العصابة يقع خلف المبنى مباشرة؛ ولذلك فإنَّه لا يلفت النظرَ، وقد استطعتُ أن أدخل المكان، وأُصبحَ من رجاله.

سأل «أحمد»: وأين بقية المجموعة؟

ردَّ «خالد»: إنَّها تتوزع حول العصابة، فنحن نخشى أن ينقلوا «جان بريم» في الظلام.

سكت لحظة، ثم أضاف: لقد خدعَتْنا العصابة خدعةً كبرى، لكننا استطعنا أن نكشف خدعتهم قبل أن تكتمل.

سأل «فهد» بسرعة: كيف؟

ردَّ «خالد»: ليس هذا وقتَ التفاصيل، فسوف نقولها فيما بعدُ، إنَّ المهم الآن، أن تنضموا إلى المجموعة الثانية؛ حتى يُمكن مراقبة المنطقة جيدًا.

سأل «أحمد»: هل تظنُّ أنَّ «جان بريم» لا يزال حيًّا؟

ردَّ «خالد»: نعم، ومن الصعب أن يخسروه، فهو يمثِّل ثروة بالنسبة لهم، ويمكن أن يستفيدوا منه كثيرًا.

سكت لحظةً، وهو يدور بعينَيه في المكان، ثم قال: لقد التقطنا رسالة من المركز الرئيسي للعصابة، ومقرُّها في «رانز» بهذا المعنى، وهذا ما يجعلني أقول: إنَّهم لن يتخلصوا منه.

ثم أضاف: هيَّا الآن، إنَّ «بو عمير» و«باسم» يقفان في النقطة «ن»، و«مصباح» و«رشيد» في النقطة «ع»، وعليكم أن تغطُّوا بقية المنطقة.

ثم ابتعد عنهما، حتى اختفى في الظلام. في نفس اللحظة، سجل جهاز الاستقبال رسالة تقول: «إنَّ هناك حركة لافتة للنظر، انضموا إلى النقطة «ن».»

عرَف «أحمد» أنَّ الرسالة من «بو عمير»، فأسرع هو و«فهد» إلى حيث النقطة المحددة.

فجأة، همس «فهد»: إنَّ لديَّ فكرة، سوف تُفيدنا كثيرًا.

قال «أحمد» متسائلًا: ما هي؟

ردَّ «فهد»: هيَّا الآن إلى السيارة، وسوف تعرف.

العصابة ... تلعب لُعبةً أخرى

عندما وصل «أحمد» و«فهد» إلى السيارة، قال «فهد»: أقترحُ أن نرتديَ ملابس الشرطة الفرنسية، خاصة وأنَّ لدينا إذْنًا من السلطات بذلك ... ونقوم بنفس الخدعة التي جرَّبناها في مطعم «مكسيم»، إنَّ ذلك يُعطينا فرصةَ الاقتراب من العصابة.

فكَّر «أحمد» لحظة، ثم قال: لا بأس، ولدينا الملابس في حقيبة السيارة.

قال «فهد»: إذَن، علينا أن نبدأ نحن، ثم يأتي «عثمان» و«قيس»، وهكذا.

نفَّذَا الفكرةَ بسرعة، ثم غادرَا السيارة في اتجاه «عثمان» و«قيس». أخبرهما «أحمد» بما يجب عمله، ثم اتَّجهَا إلى الباقين. كانت فكرة ملابس الشرطة العسكرية تُعطيهما فرصةَ التجول في الميدان دون تردُّدٍ.

قال «فهد»: أُفكِّر في مهاجمة مقرِّ العصابة، فالليل أمامنا طويل، ونستطيع كمجموعتَين أن نُحقِّق شيئًا!

ردَّ «أحمد»: لا تنسَ أنَّ مقرَّ العصابة عبارة عن «سوبر ماركت» ضخم، ونحن لا نستطيع أن نهاجم مكانًا للبيع والشراء.

صمَت لحظة، ثم قال: إنَّ فرصتَنا هي أن يفكِّروا في نَقْله إلى مكان آخر.

فجأةً، ظهر جنديان من الشرطة الفرنسية، فقال «فهد» مبتسمًا: لقد تضاعفَت القوة!

لم تمضِ نصفُ ساعة، حتى كان بقية الشياطين يلبسون ملابس الشرطة. في نفس الوقت، كان «أحمد» يفكِّر: هل وجودهم هكذا يُفيد خطَّتَهم؟

نظر إلى «فهد»، وطرح عليه السؤال؛ فردَّ «فهد»: إنَّها ملاحظة جيدة، وينبغي أن يكون وجودُنا محسوسًا.

فجأة، سجَّل جهاز الاستقبال رسالةً. قال «أحمد»: إنَّ هناك رسالةً من «خالد»، ويبدو أنَّ هناك شيئًا جديدًا.

أخذ يقرأ الرسالة، ثم قال: «إنَّ عملية نقل البضاعة سوف تتم بعد قليل.»

فجأةً، ظهرَت سيارةُ نقل كبيرة مقفلة، أخذَت طريقَها إلى «السوبر ماركت»، حتى توقَّفت عنده، فتحَت أبوابها، وبدأ بعض العمال ينقلون صناديق مقفلة إلى داخل «السوبر ماركت». كان الشياطين يقفون في نُقَط مراقبة متباعدة، يرقبون حركة النقل.

همس «أحمد»: من المؤكد أنَّ شيئًا سوف يحدث.

سأل «فهد»: ماذا تقصد؟

أجاب «أحمد»: أظن أنَّ «جان بريم» سوف يكون بين هذه الأشياء.

استغرق «فهد» في التفكير، ثم قال: إنَّها فكرة جيدة!

ظلَّت حركةُ نقلِ الصناديق المغلقة مستمرَّة إلى داخل «السوبر ماركت». ثم بدأت حركةٌ عكسية، كانت صناديقُ أخرى تخرج من «السوبر ماركت» إلى عربة النقل. كان «أحمد» يراقب ما يدور جيدًا، كان يقول في نفسه: إنَّ حجم الصناديق يمكن أن يُحدِّد الخطة.

لكن الصناديق كلها كانت في حجم واحد، متوسط، حتى إنَّ «فهد» قال: هل يمكن أن يكون هذا الحجم كافيًا لإخفاء إنسان؟!

كان «أحمد» مستغرقًا في المراقبة، وهو يفكِّر: إنَّ طريقةَ حمْلِ الصندوق، وثِقَلَه يمكن أن يكشفَا اللُّعبة.

وكما توقَّع تمامًا، خرج اثنان من العمال، يحملان صندوقًا، لكن كان يبدو أنَّه ثقيل.

فكَّر «أحمد»: هل يكون «جان بريم» داخل هذا الصندوق؟

لكن فجأةً، ظهر اثنان آخران يحملان صندوقًا مشابهًا بنفس الطريقة. قال «أحمد» في نفسه: إنَّهم يُنفِّذون الخطة بذكاء شديد. ثم ظهر صندوقٌ ثالث ورابع. همس «أحمد»: إنَّهم يُنفِّذون خطَّتَهم بحرص كامل.

سأل «فهد»: ماذا تقصد؟

شرح له «أحمد» وجهةَ نظرِه، كان «فهد» يستمع جيدًا، فقال له معلِّقًا على كلامه: هذه فكرة مذهلة!

فجأةً، أقفلَت العربية أبوابَها، وقفز فيها العمَّال، ثم بدأَت تتحرك. قال «فهد» بسرعة: إنَّهم سوف يُفلِتون منَّا.

قال «أحمد»: ينبغي أن نفعل شيئًا.

تحرَّك من مكانه إلى منتصف الميدان، حيث تمرُّ العربة. في نفس الوقت، كان بقية الشياطين يراقبون الموقفَ. عند منتصف الميدان، وقف «أحمد»، ومعه «فهد»، وأشار للعربة أن تقف، فتوقفت. اقترب «أحمد» من السائق، وقال: هل تحمل أوراقًا خاصة بالنقل؟

ردَّ السائق: لا، يا سيدي.

سأل «أحمد»: ما هي وِجْهتكُم؟

قال السائق: بوردو.

سأل «أحمد» مرة أخرى: ماذا تحملون؟

ردَّ السائق: بضائع.

قال «أحمد»: ينبغي أن نرى.

ابتسم السائق، وقال: أمْرُك يا سيدي.

كانت ابتسامة السائق تُوحي بالثقة، في حين فكَّر «أحمد»: هل تكون هذه ابتسامة تمثيلية يُخفي بها العملية، أو أنَّها ابتسامة حقيقية؟ لكنَّه اتجه إلى مؤخرة السيارة، حيث البابان الكبيران. فتح السائق البابَين، ألقى «أحمد» نظرةً على الصناديق التي تملأ العربة. في نفس الوقت، أسرع «فهد» وأخرج من جيبه جهازًا صغيرًا، ضغط زرًّا فيه، ثم بدأ يمرُّ على الصناديق الواحد بعد الآخر، ابتسم السائق، وقال: إننا لا ننقل موادَّ متفجرة!

قال «أحمد»: إنَّه نوع من الحرص، فمَن يدري؟!

قال السائق بنفس ابتسامته: إنَّها موادُّ غذائية للاستهلاك فقط.

فلم يردَّ «أحمد». في نفس الوقت الذي استمرَّ فيه «فهد» بالمرور على الصناديق بجهاز الكشف. فجأةً، ظهرت عربةٌ مُماثلة، تقطع الميدان من الجانب الآخر. فقال السائق: هذه عربةٌ أخرى، سوف تقوم بنقل موادَّ من نفس النوع.

ردَّ «أحمد»: لا بأس.

اقترب «فهد» من «أحمد»، وقال: لا شيءَ يا سيدي.

نظر له لحظة، ثم قال للسائق: يمكن أن تمرَّ.

قال السائق مبتسمًا: شكرًا يا سيدي، ونأسف إن كنَّا سبَّبنا لك هذا الإزعاجَ.

ثم ركب العربة، وانصرف. في نفس الوقت الذي كانت فيه العربة الأخرى قد أخذَت مكانها، وبدأت حركةُ النقل الجديدة.

فكَّر «أحمد»: لو كانوا ينقلون موادَّ استهلاكية، فماذا في الصناديق الداخلة إلى «السوبر ماركت»؟

طرح السؤال على «فهد»، الذي قال: ربما ينقلون موادَّ مخزونة ويضعون بدلًا منها موادَّ لا تزال جديدة الإنتاج.

هزَّ «أحمد» رأسَه، ولم ينطق. ثم اتجهَا معًا إلى العرَبة الأخرى. كان «أحمد» يُقلِّب الأمور في رأسه، ثم قال لـ «فهد»: هل تظن أنَّ هذه حركة حقيقية، أو أنَّها خدعة؟

ردَّ «فهد»: أظن أنَّها خدعة، وإلا، فلماذا هذه الحركة كلها؟!

ثم تساءل بعد لحظة: هل تظنُّ أننا خُدِعنا فعلًا، وأنَّ الشياطين قد سجلوا إشارة خاطئة؟

قال «أحمد»، في هدوء: أخشى أن يكون حقيقة.

فجأةً، جاءت رسالة إلى «أحمد»، تلقَّاها، ثم قرأها لـ «فهد». كانت الرسالة تقول: إنَّ «جان بريم» لا يزال في المخزن، ولن يكون في صندوق كما تتصورون.

ملأت الدهشةُ وجهَ «فهد»، وقال: هل هذا يعني أنَّ «جان» سوف يظل في مخزن «السوبر ماركت»؟!

فكَّر «أحمد» لحظةً، ثم قال: إنَّ «خالد» يقصد شيئًا آخرَ.

تساءل «فهد»: ما هو؟

ثم فجأةً، قال: هل يمكن أن يخدعَنا هو الآخر؟!

ابتسم «أحمد»، وقال: إنَّه لن يخدعَنا، إنَّه فقط سوف يضطر لذلك.

ثم قال بسرعة: لكننا يجب أن ننتبه جيدًا.

أسرع «أحمد» بإرسال تعليمات إلى بقية الشياطين، حتى يكونوا جاهزين، وأن يكونوا في منطقة قريبة من العربة؛ فقد فكر «أحمد» جيدًا في كلمات «خالد»، وتوصَّل إلى الحقيقة، أنَّ الشياطين سوف يقعون في خدعة جديدة، لكن الخدعة لن تمرَّ عليهم.

اكتشاف «جان بريم»

ألقى «أحمد» نظرةً سريعة على جميع النقط التي يقف عندها الشياطين، فكَّر لحظة: لماذا تلجأ العصابة إلى هذه الخدعة، وهي تستطيع أن تشتبك مع الشياطين؟

ردَّ على تساؤله: إنَّ معركة مطعم «مكسيم» جعلَتهم يتصورون أنَّهم يتعاملون مع شياطين فعلًا. وتساءل بينه وبين نفسه، مرة أخرى: ولماذا حرْصُهم الشديد على «جان بريم»؟ هل هو لمجرد الاستفادة منه مستقبلًا، أو أنَّ هناك عمليةً جديدة سوف يقومون بها؟

كانت عيناه تَرقُبان حركةَ النقل إلى العربة ومنها، وهو يقطع الميدان وحده. في حين كان «فهد» قد وقف في مكان محدَّد.

فكَّر «أحمد»: هل نستطيع أن نجعل من «جان بريم» عميلًا لنا؟

ابتسم، وقال في نفسه: إنَّ ذلك يُفيدنا تمامًا ... لكن كيف؟

فكَّر: هل يُرسل إلى رقم «صفر» ليعرض عليه الفكرة؟

لكنه عاد ليقول لنفسه: إنَّ هذا ليس مهمًّا الآن، المهم هو إنقاذ «جان بريم».

ظلَّ يرقُب حركةَ النقل. لم يكن هناك شيءٌ يلفت النظر، فنفس العمل حدَث مع العربة الأخرى انتهَت عملية النقل ... فجأةً قفز السائق إلى السيارة، وبدأ يتحرك بها.

فكَّر «أحمد»: هل يقومون بالتفتيش على العربة، كما حدث مع السابقة، أو يدعها تمرُّ، ما دام «خالد» يقول إنَّ «جان بريم» لن يكون بين الصناديق؟ فجأةً، اقترب منه «فهد»، في حين كانت العربة تدور حول الميدان.

قال «فهد» بسرعة: إنَّ «جان بريم» في هذه السيارة.

دُهِش «أحمد»، وتساءَل: كيف عرفت؟

قال «فهد»: إنَّ هذه هي الخدعة الجديدة.

سأل «أحمد»: هل تظن أنَّه أحد الرجال؟

ردَّ «فهد»: لاحِظ أنَّه خبيرٌ في الماكياج، ويمكن أن يتخفَّى تمامًا، حتى لا نعرفَه.

تساءل «أحمد»، مرة أخرى: ولماذا يفعل ذلك؟

ردَّ «فهد»: إنَّهم سوف يضطرونه إلى التخفِّي، حتى يقوموا بتهريبه تحت أعيننا، ودون أن ندريَ.

فكَّر «أحمد» لحظة ... كانت العربة تسير ببطءٍ، وقد قطعَت الميدان، وبدأت تدخل الشارع الرئيسي في المدينة.

قال «أحمد»: سوف نرى.

أطلق صفارةً؛ جعلَت العربة تأخذ يمينَ الطريق، ثم تقف. أسرع إليها هو و«فهد»، واقترب منهما السائق، واثنان آخران يجلسان في المقعد الخلفي.

قال «أحمد» للسائق: إلى أين؟

ردَّ السائق مبتسمًا: إلى «بوردو».

سأل «أحمد»: ماذا تحمل؟

ابتسم الرجل، وقال: متفجِّرات.

ثم أسرع يضيف: مواد استهلاكية يا سيدي.

نظر له «أحمد»، ثم قال: هيَّا افتح العربة.

نزل السائق في هدوء، ثم فتح البابَين الخلفيَّين؛ أسرع «فهد» وأخرج جهازَ الكشف، ثم بدأ ينتقل بين الصناديق، نظر «أحمد» إلى السائق، وقال: استدعِ بقيةَ الرجال.

ضحك السائق، وقال: هل تكشف عليهم أيضًا؟!

نظر له «أحمد» بحدَّة، فأسرع الرجل يقول: أمْرُك يا سيدي.

ثم نادى على الثلاثة. كان «أحمد» يُعطي فرصةً لـ «جان بريم» — إن كان بينهم — أن يُعطيَ أيَّة إشارة؛ ولذلك كان يرقب الرجال الثلاثة وهم ينزلون، نزل الأول بطريقة عادية، وكذلك الثاني؛ أمَّا الثالث، فقد انزلقَت قدمُه فوق سُلَّم العربة، فسقط على الأرض. في نفس الوقت، صرخ فيه: «كرو»، «كرو». لفت نظرَ «أحمد» الكلمةُ التي ردَّدها الرجل، إنَّه يعني «أليك كرو»، العالِم الذي أنقذه الشياطين. لكن ملامح الرجل لم تكن هي ملامح «جان بريم» التي يعرفها «أحمد»، غير أنَّه تذكَّر أنَّه خبيرُ ماكياج، ويستطيع أن يُغيِّرَ ملامحَه. حدَث كلُّ هذا في لحظات سريعة، انحنَى الرجلان على زميلَهما يحاولان إنقاذه، إلا أنَّ «أحمد» قال: «اتركاه.»

نظر له الرجلان، ثم فجأةً ابتعدَا. كان «أحمد» يفكِّر بسرعة. فجأةً، دوَّى صوتُ طلقة رصاص أصابَت الأرض بجوار الرجل الراقد على الأرض؛ وكانت الطلقة هي التأكيد الهام لـ «أحمد» أنَّ الرجل هو «جان بريم»، وأنَّ أفراد العصابة يختفون في مكان ما، ويريدون التخلص منه.

تردَّدت طلقات سريعة، كانت تطيش؛ لأنَّ «أحمد» كان يُغير مكانه باستمرار ولم ينتظر طويلًا، فقد قرَّر أن يشتبك مع الرجال حتى لا يُعطيَ فرصةً لرجال العصابة في استخدام أسلحتهم. طار «أحمد» في الهواء؛ ليضرب الرجلَين في نفس اللحظة التي تولَّى فيها «فهد» الاشتباك مع السائق، في حين تدحرج «جان بريم» واختفى خلف إحدى عجلات العربة. قابل قفزةَ «أحمد» في الهواء، قفزةٌ أخرى من أحد الرجلَين، فالتقى الاثنان في الهواء؛ ولذلك لم يستطع «أحمد» أن يضرب الرجل. في نفس الوقت، كان الرجل الآخر في انتظار «أحمد» ما إن نزل على الأرض، حتى تلقَّاه الرجلُ بضربة قوية جعلَت «أحمد» يطير في الهواء، كان «فهد» قد انتهى من السائق، بعد ضرْبِه ضربةً قوية، وقبل أن يستعيدَ نفسه، أمسك به وضربه بشدة، فسقط بلا حَراكٍ. أسرع إلى الرجل الآخر الذي ما إن رآه حتى أسرع بالدوران حول نفسه، وضرب «فهد» عدَّة ضرباتٍ متتالية، ولم يستطع «فهد» اللحاق به، لسرعة ضرباته. كان واضحًا أنَّ المعركة سوف تكون ضد «فهد» و«أحمد»، في حين لم يتحرك بقية الشياطين؛ فالمسافة بينهم وبين مكان المعركة تكفي لاصطيادهم.

لكن، متى كان الشياطين لا يستطيعون التصرُّفَ. فجأةً، اقتربَت سيارة الشياطين وعند مكان المعركة توقَّفت، في حين كانت طلقات الرصاص تنهمر عليها كالمطر.

وعندما توقَّفت، توقَّف إطلاق الرصاص؛ لأن ذلك، قد يُصيب رجالهم أيضًا. قفز «عثمان» و«مصباح» من السيارة واشتبكَا مع الرجال الثلاثة، بعد أن استعاد السائقُ نفسَه. ودارَت معركة عنيفة، فجأةً ظهرَت سيارةٌ صغيرة، سريعة تمامًا، وتوقَّفت في لحظة عند الجانب الآخر من عربة النقل. كان «أحمد» قد ضرب أحدَهم ضربةً عنيفة، جعلَت الرجل يتهاوَى على الأرض، أمَّا «عثمان» فقد حمَل أحد الرجلين، ودار في الهواء، ثم قذفه في عنفٍ. وكان «مصباح» قد أجهز هو الآخر على الرجل الثالث. وعندما نظر الشياطين إلى عربة النقل وهي تتحرك، كانت أعينُهم تنتظر ظهور «جان بريم» إلا أنَّه كان فاقدَ الوعي في كابينة العربة.

صاح «أحمد»: لقد خطفوا «جان بريم» مرة أخرى.

كانت السيارة الصغيرة قد ابتعدَت خلف عربة النقل، ثم فجأة، دوَّت طلقةٌ بجوار «مصباح»، الذي قفز بسرعة مع الشياطين إلى سيارتهم، فانطلقت في مطاردة عربة النقل.

أسرع «أحمد» بإرسال رسالة إلى الشياطين جميعًا للانضمام إليهم. كان قد بقيَ من الشياطين «قيس» و«بو عمير» و«باسم» و«رشيد»، أما «خالد» فقد كان لا يزال في مبنى «جان دارك»؛ ولذلك كان عليه أن يتصرَّف وحدَه.

اندفعت سيارة الشياطين في سرعة رهيبة، كانت عربة النقل تنطلق بسرعة كبيرة هي الأخرى. قال «عثمان»: إنَّ سرعة العربة لا تتناسب مع حمولتها، وهذا قد يؤدي إلى كارثة.

ردَّ «فهد»: إنَّ ذلك لا يهمُّهم في شيء، إنَّ الذي يفكِّرون فيه هو أن يتخلصوا من «جان بريم».

قال «أحمد»: لا أظن ... وإلا كانوا قد تخلصوا منه من البداية، أعتقد أنَّ «جان بريم» يمثِّل بالنسبة للعصابة أهمية خاصة.

فجأةً، ظهرَت عربةُ نقل أخرى خلف سيارة الشياطين؛ فقال «مصباح»: أظن أنَّها تابعة للعصابة.

اقتربَت سيارة الشياطين من تقاطُع في الطريق؛ فقال «أحمد»: هدِّئ السرعةَ، فمَن يدري ... قد يظهر لنا شيءٌ مفاجئ من هذا التقاطع.

ولم يكَدْ «أحمد» ينتهي من كلمته حتى ظهرَت عربةُ نقلٍ ضخمة، تجرُّ خلفها مقطورة، واتجهت نحو سيارة الشياطين بسرعة رهيبة.

معركة العربات الضخمة

لكن «فهد» الذي كان يجلس إلى عجلة القيادة، كان منتبهًا تمامًا. فقد ضغط قدمَ البنزين، فكادت السيارة أن تطير لسرعتها. وتجاوزَت المنطقة في نفس اللحظة التي وصلَت فيها عربةُ النقل الضخمة، وفجأةً سمع الشياطين صوتَ انفجار رهيب، وعندما نظر «عثمان» من الزجاج الخلفي، فَهِم كلَّ شيء؛ فقد اصطدمت عربةُ النقل الضخمة بالعربة الأخرى التي كانت تَتْبعُهم.

قال «أحمد»: ينبغي أن نلحق بالعربة الأمامية قبل أن يختفيَ «جان بريم».

قال «فهد»: سوف نلحق بها حالًا، وهم لن يستطيعوا إخفاءَ «جان بريم» مرة أخرى.

قال «عثمان»: إنَّهم يمكن أن يُلقوه من العربة بين الزرع، وقد يقفز أحدهم معه، ويهرب منَّا في النهاية.

كانت العربة الأمامية لا تزال في انطلاقها المخيف، فقال «مصباح»: إنَّ هذه العربة يمكن أن تُحدث كارثة بسرعتها الجنونية.

ضغط «فهد» قدَمَ البنزين أكثر، فارتفعَت سرعةُ السيارة وأخذَت المسافةُ تضيقُ، فجأةً انفتح باب العربة الخلفي، وسقطَت عدةُ صناديق، في نفس الوقت الذي كانت فيه سيارة الشياطين قد اقتربت تمامًا.

لكن «فهد» كان يقظًا؛ فقد استطاع في اللحظة الأخيرة، أن يتفادَى الصناديق ببراعة. وقال «عثمان»: إنهم سوف يُكرِّرون هذه الحكاية مرة أخرى.

وردَّ «فهد»: لقد كنت أتوقع ذلك فعلًا.

مرة أخرى، ضاقت المسافة بين السيارتَين، حتى كادَتْ مقدمةُ سيارة الشياطين أن تُلامس مؤخرة عربة النقل، ولم تكن العربة لضخامتها تُعطي سيارة الشياطين فرصة المرور، وكلما حاول «فهد» أن يمرَّ، أغلقَت العربةُ الطريقَ.

قال «عثمان»: ينبغي أن تبتعدَ عن العربة قليلًا، فلو أنَّها توقَّفت فجأةً، فسوف نصطدم بها بشكل مروعٍ.

وكانت هذه وجهةَ نظرٍ صائبة، لكنها من جانب آخر، كانت تُعطي الفرصة لتكرار عملية الصناديق وهذا ما حدث فعلًا. عندما أبطأ «فهد» من سرعة السيارة، حتى انفتح الباب الخلفي للعربة وسقطَت عدةُ صناديق أخرى. وفي هذه المرة لم يستطع «فهد» أن يفعل شيئًا، سوى أن داسَ فرملة السيارة بقوة، إلا أنَّها مع ذلك اصطدمَت بها، غير أنَّ الصدمة لم تكن قوية، لكنها في النهاية عطَّلت السيارة ... كانت العربة تبتعد، وهي لا تزال في سرعتها العالية.

قال «أحمد»: يجب أن نُجرِّب شيئًا آخر، ما دُمْنا لا نستطيع المرور من العربة.

كان «فهد» قد تراجع بسرعة، ثم تجاوز الصناديق التي اعترضَت طريقه وتقدَّم مرة أخرى. قال «أحمد»: سوف أحاول القفز فوق العربة، أو التعلق بها.

قال «عثمان»: هذه مغامرة غير مأمونة؛ فسرعةُ السيارتَين لن تُعطيَك الفرصة لتحقيق ما تريد.

غير أنَّ «أحمد» قال: سوف أحاول ولو استطاع «فهد» أن يُثبِّت سرعة السيارة، على سرعة العربة، فسوف تكون المحاولة ممكنة.

ضغط «فهد» قدَمَ البنزين أكثر، وبدأَت المسافة تضيق، حتى أصبحَت مقدمةُ سيارة الشياطين خلف مؤخرة العربة تمامًا. فتح «أحمد» بابَ السيارة. كان الهواء قويًّا نظرًا لارتفاع السرعة حتى إنَّه كان يدفعه إلى الخلف، حاول مرة أخرى، لكنه لم يستطع.

قال «مصباح»: حاول الخروج من النافذة.

فتح «أحمد» زجاجَ النافذة، ثم أخرج نصفَه العلوي، وداسَ بقدمِه على حافة النافذة؛ فأصبح جزؤه العلوي فوق مقدمة السيارة، نزل بهدوء، وهو يزحف على مقدمة السيارة، حتى اقترب من نهاية المقدمة، كانت المحاولة تحتاج قفزةً واحدة، حتى يتعلَّق في الذراع الحديدية، التي تُغلق بابَ العربة.

كان «فهد» حذرًا جدًّا، وهو يجري بنفس سرعة العربة؛ فجأةً، أبطأت العربةُ من سرعتها، حتى إنَّ سيارة الشياطين اصطدمَت بها، لكن الصدمة لم تكن عنيفةً إلا أنَّها أعطَت «أحمد» فرصةً، فقد دفعَتْه الصدمةُ إلى الأمام، بينما كان يستعدُّ للقفز، وبرشاقةٍ تعلَّق في الذراع الحديدية، غير أنَّ العربة ظلَّت تتأرجح يمينًا وشمالًا، حتى لا تُعطيَ «أحمد» فرصةَ تكملةِ المحاولة، فظلَّ يتأرجح هو الآخر معها. فجأةً، توقَّفَت عربةُ النقل، فصرخَت

عجلاتُها في الليل الهادئ. إلا أنَّ «فهد» كان ينتظر هذه الخدعة أيضًا. ومع ذلك، فلم يكن أمامه إلا الاصطدام بالعربة بالرغم من أنَّه داسَ الفرامل حتى نهايتها. كانت الصدمةُ عنيفة هذه المرة، حتى إنَّ الشياطين اصطدموا أكثر من مرة بجوانب السيارة، إلا أنَّ «أحمد» ظل متشبِّثًا بالذراع الحديدية فلم يُصَب بسوء. توقَّفت سيارةُ الشياطين نتيجة الصدمة كما توقَّفت عربةُ النقل. وفي لَمْحِ البصر، كان الشياطين يقفزون من سيارتهم في اتجاه العربة، إلا أنَّ السائق كان ماهرًا فعلًا، فقد انطلق فجأةً قبل أن يَصِل الشياطين إليه. وبسرعة ارتدُّوا إلى سيارتهم، بينما كانت العربة تبتعد، كان «أحمد» لا يزال معلَّقًا بالذراع الحديدية التي كانت مدلاة من الجانب الأيمن للعربة.

كان يفكِّر: هل أُدخل صندوقَ العربة وأَصِل إليهم من النافذة الداخلية؟ أم أَصعد فوق صندوق العربة وأهاجم من الأمام؟

لكنه لم يتخذ قرارًا. مرة أخرى فكَّر: إنني أستطيع استخدام قنابل الدخان …

لكنَّه تراجع عن هذا القرار، فقد خشيَ أن تحدث كارثةٌ إذا فقد سائقُ العربة سيطرتَه على عجلة القيادة. ويمكن أن ينتهيَ «جان بريم» إلى الأبد. كان بقيةُ الشياطين يحاولون إدارةَ السيارة، لكن شدة الصدمة عطَّلت السيارة. فتح «عثمان» غطاءَها، ثم بدأ يُجري عدةَ أشياء. في نفس الوقت، كان «فهد» يُراقب عربةَ النقل التي كانت قد ابتعدَت.

قال «مصباح»: إنَّ «أحمد» وحده الآن، وهذه مسألة مزعجة.

ردَّ «فهد»: إنَّه يستطيع التصرف؛ فالسيارة ليس فيها سوى رجلين فقط، مع «جان بريم» الذي يمكن أن ينضمَّ إليه.

كان «أحمد» قد قرَّر قراره الأخير؛ أن يقفز فوق سطح العربة، فهو إن دخل الصندوق، يمكن أن يسيطروا عليه؛ ولذلك استجمع قوتَه ثم كوَّر جسمه وكأنَّه ثعبان ضخم، وقفز قفزةً رائعة، فأصبح فوق الصندوق. كان الهواء عنيفًا؛ لشدة سرعة العربة، لكنه تشبَّث بالسقف، وهو يلتصق به أخذ يزحف في بطءٍ، حتى لا يؤثر الهواء على حركته. لكن فجأة، توقَّفت العربة، فتراجع بعنف حتى كاد أن يسقط، إلا أنَّه بالكاد استطاع أن يتشبَّث بحافة الصندوق، بينما كان جسدُه معلَّقًا في الهواء. نظر أسفله إلى الطريق، وكانت الصدفة معه، ففي نفس اللحظة، كان الرجلان قد نزلَا من السيارة وتقدَّمَا إليه؛ كان أحدهما يتقدَّم من يمين العربة، والآخر من شمالها، فوقعَت عينَا «أحمد» على رجل اليمين. وفي سرعةٍ طوَّح نفسه في الهواء، ثم ضرب الرجل ضربةً عنيفة، فأغمض الرجل عينَيه ووضع يدَه على وجهه، أسرع إليه، وثنَى إحدى ذراعَيه خلف ظهره، ثم وقف خلفه … كان الرجل الآخر قد

ظهر، وهو يحمل مسدَّسًا، صوَّبه في اتجاه «أحمد»، إلا أنَّه لم يستطع إطلاقه؛ لأن الطلقة كانت ستُصيب زميلَه.

قال الرجل: لقد وضعْتَ نفسَك في مأزق، إنني أستطيع أن أُطلقَ الرصاص عليكما معًا.

قال «أحمد» في هدوء: أطْلِق إن استطعت، فسوف ينتهي زميلُك حالًا.

قال الرجل في غِلظة: إن الزميل لا يساوي شيئًا الآن.

فابتسم «أحمد» وقال: إذن، عليك بإطلاق الرصاص.

نظر له الرجل لحظة ... كان «أحمد» يفكِّر: إذا وصل الشياطين الآن، فسوف تكون كارثة؛ لأن الرجل ساعتها لن يكون أمامه إلا إطلاق الرصاص.

قال الرجل بعد لحظة: إذن، استعدَّ، فسوف تنتهيان معًا.

جذَب زناد المسدس إلى الخلف استعدادًا للإطلاق، إلا أنَّ الرجل الذي يقف خلفه «أحمد» صاح: «جاكو» ماذا تفعل؟

تردَّد «جاكو» ثم قال: آسف يا عزيزي «بوش»، إنَّ هذه تقاليد العمل، فماذا أفعل؟

قال «بوش»: هل يمكن أن تُطلق الرصاص عليَّ؟!

ردَّ «جاكو»: ماذا أفعل؟! ليست هناك وسيلة أخرى.

صمَت لحظة، كان يبدو حائرًا، ثم أضاف: أعتذر يا «بوش»، إنني لا أستطيع أن أخالف التقاليد وإلا ضِعْنا نحن الاثنين.

دار حوارٌ بين «جاكو» و«بوش» واستغرق بعض الوقت. وكانت هذه فرصة جيدة. استغلَّها «أحمد»، ففي هدوء ألقى عند قدمَيه عدةَ كرات من الغاز ثم أزاحها في اتجاه «جاكو»، لاحظَ «جاكو» الحركةَ فأطلق طلقةً بجوار قدَمِ «أحمد» الذي لم يهتزَّ.

وقال «بوش»: دَعْنا نتفق مع الزميل!

ردَّ «جاكو»: على ماذا؟!

تردَّد «بوش» قليلًا ثم قال: على أيِّ شيء؟! فأنت لا يمكن أن تُنفذ ما فكرت فيه.

كانت كرات الغاز قد بدأ مفعولُها. عطس «جاكو» مرة، فعطس «بوش» أيضًا، وقال «جاكو» بصوت خفيض، وكأنَّه يتحدَّث إلى نفسه: يبدو أنني أُصبت بالبرد.

إلا أنَّه أخذ يَسعُل عدة مرات، جعلَت قدرتَه على التحكم في المسدس صعبة. وبسرعة، تصرَّف «أحمد»؛ دفع «بوش» بقوة في اتجاه «جاكو» الذي كان يَسعُل في هذه اللحظة، ثم قفز في اتجاه «جاكو»، وضرب المسدس من يده بقدمه، فطارَ في الهواء، إلا أنَّ سرعة الرياح

خفَّفت من تأثير الغاز. واستطاع «جاكو»، أن يشتبك مع «أحمد». في نفس الوقت الذي أسرع فيه «بوش» إلى العربة، وقفز فيها، ثم انطلق، بينما كان «أحمد» قد ضرب «جاكو» ضربةً عنيفة تلقَّاها «جاكو» بمهارة، فلم تؤثر فيه. إلا أنَّ «أحمد» عاجلَه بضربة أخرى جعلَتْه يهتزُّ، فأتبعَها بضربةٍ أخرى أقوى، أوقعَتْه على الأرض، ولم تمضِ دقيقة، حتى كان «جاكو» ممدَّدًا بلا حَراكٍ. لكن العربة كانت قد ابتعدَت تمامًا وأصبحت على مسافة لا يظهر منها سوى أنوارها الخلفية.

نصف النقل تقوم بالمهمة!

نظر «أحمد» حوله، لم يكن هناك شيءٌ يمكن أن يفعله، أسرعَ إلى جهاز الإرسال وأرسل رسالة إلى الشياطين. كانت الرسالةُ شفرية، تقول: «٢ – ٥٠ – ٣٦ – ٣٠ – ٢٠» نقطة «٢٤ – ٥٨ – ٤٤» نقطة «٣٠ – ٣٦ – ٣٠ – ٢٠» نقطة «٢ – ٥٤ – ٢» نقطة «٤٤ – ٣٠» نقطة «٢ – ٥٠ – ٥٤ – ٤٦ – ٣٦ – ٥٦» نقطة «٣٦» انتهى. مرَّت دقيقتان ثم جاءه الردُّ «٢ – ٥٠ – ٥٢ – ١٠ – ٥٢ – ٥٨ – ٤٠ – ٥٦» نقطة «٢ – ٥٠ – ٨ – ٢ – ٥٤ – ٣٠ – ٥٦» نقطة «٤٤ – ٣٠» نقطة «٢ – ٥٠ – ٣٦ – ٢٠ – ٣٠ – ٤٦» انتهى.

عندما ترجم الرسالة نظر إلى الأفق البعيد في انتظار المجموعة الثانية. في نفس الوقت، كان يُلقي نظرةً على عربة النقل التي كانت تتباعد، كان يفكِّر: إنَّ عربة النقل يمكن أن تختفيَ، ومعها سوف يختفي «جان بريم» إلى الأبد، وبذلك تكون المغامرة فشلت تمامًا.

انتظَر لحظة، ثم تساءل: هل يمكن أن تكون وجهة العربة مدينة «بوردو» كما قالوا؟

ثم أجاب على تساؤله: مَن يدري؟ قد تكون خدعة.

فجأةً، تردَّدت أمامه إشارةٌ ضوئية عرَف أنَّها إشارة الشياطين. ولم تمضِ دقائق، حتى توقَّفت أمامه عربة نصف نقل، ملأَت الدهشةُ وجهَه لكن الدهشةَ زالت، عندما رأى المجموعة الثانية، والتي تضمُّ «بو عمير»، «باسم»، «رشيد»، «خالد». كان «رشيد» يجلس إلى عجلة القيادة، وقد غيَّروا ملابسهم تمامًا، فبدَوا كأنَّهم مجموعةٌ من العمَّال.

قفزَ «أحمد» بينهم، وتساءَل بسرعة: أين المجموعة الأخرى؟

ردَّ «رشيد»: إنَّهم سوف ينتهون من إصلاح السيارة حالًا، وسوف يتبعوننا.

سأل مرة أخرى: هل كانت الإصابة قوية؟

ردَّ «باسم»: نعم، حتى إنَّها عطلت السيارة.

أضاف «بو عمير»: لا بأس، فسوف تلحق بنا في الوقت المناسب، فسرعتُها ضِعْفُ أيِّ سيارة أخرى.

كان «رشيد» قد رفع سرعةَ العربة حتى النهاية، وكانت أضواءُ عربة النقل الضخمة تقترب شيئًا فشيئًا. قال «بو عمير»: هل رأيت الوجه الآخر «لجان بريم»؟

ابتسم «أحمد» وقال: نعم. لقد وضع ماكياجًا، لا يستطيع أحدٌ أن يكشفَه ولولا أنَّه أسقط نفسَه من فوق سُلَّم العربة، ثم كرَّر اسم «كرو» لما استطاع أحدٌ أن يكشفَه. لقد كان الوجهُ الآخر «لجان بريم» وجهًا غريبًا فعلًا.

علَّق «باسم»: إنَّ خدعة عربة النقل كانت ذكيةً تمامًا، والطريف أنَّهم يستخدمون «جان بريم» في إخفاء نفسه، وليس في إخفاء الآخرين.

كانت العربة نصف النقل تقترب من عربة النقل الضخمة بسرعة. وكانت المسافة بينهما تقلُّ شيئًا فشيئًا.

قال «أحمد»: إنَّ هذه هي فرصتنا الأخيرة، فنحن نقترب من مدينة «بورد» فعلًا، ومن حسن الحظ أنَّ حركة السير على الطريق تكاد تكون معدومةً الليلة؛ ولذلك فينبغي أن تكون عمليَّتُنا هذه هي العملية الأخيرة.

انتظر لحظةً، ثم قال: عندما نقترب من العربة، فسوف يُعطي «رشيد» إشارةً للعربة حتى تفسح الطريق، وهي طبعًا لن تشكَّ في العربة نصف النقل. وعندما تتوسَّط عربتُنا عربتَهم، سوف يقفز اثنان على جانب العربة القريب، ثم يزحفان إلى كابينة السيارة، في نفس الوقت، سوف أقفز إلى الكابينة مباشرةً وسوف يؤدي ذلك إلى ارتباكهم.

صمتَ لحظةً، ثم أضاف: إنَّ المهم في تنفيذ هذه العملية هو التوقيت؛ فيجب أن يكون وصولُ الاثنين من سقف العربة إلى الكابينة متلازمًا مع قفزتي إليها.

ثم قال بعد قليل: لقد فكَّرتُ أن نسبقَ العربة ثم نقف أمامها لنسدَّ الطريق، ونُجبرَها على التوقف. لكن ما فكَّرتُ فيه أيضًا هو أنَّ عربةَ النقل يمكن أن تُحطِّم نصفَ النقل دون أن تتأثر. وبذلك نفقد سيارة أخرى، ونحن في العَراء.

فجأةً، تردَّدت إشارةٌ ضوئية في مِرآة نصف النقل. فقال «رشيد»: لقد وصلَت المجموعة الأولى.

فكر «أحمد» بسرعة، لكن «خالد» قال: ينبغي أن تظلَّ سيارة الشياطين بعيدة، حتى لا نلفتَ النظر. في نفس الوقت، على المجموعة الأولى أن تكون مستعدةً للتدخُّل في أي وقت.

قال «أحمد»: سوف يقوم «بو عمير» و«خالد» بالقفز على جانب السيارة.

ثم نظر إلى «رشيد» وقال: عليك أن تكون حذرًا، ولا تمرَّ من العربة، فبمجرد أن نقفز، عليك أن تُبطئَ من سرعتك وتكون خلف عربة النقل مباشرة.

اقتربَت نصفُ النقل من العربة، ثم أعطى «رشيد» إشاراتٍ ضوئيةً ليُفسحَ له الطريق. مرَّت دقيقة، ثم أخذَت العربة تأخذ اتجاه اليمين، لتُفسحَ طريقًا «لرشيد»، ضغط قدَمَ البنزين أكثر، فتقدَّمت نصف النقل حتى دخلَت من يسار العربة، وتقدَّمت حتى أصبحَت في منتصفها تمامًا. قفز «بو عمير» و«خالد» معًا في رشاقة إلى جانب السيارة، ضغط «رشيد» قدَمَ البنزين أكثر، فتقدَّمَت نصف النقل حتى كابينة العربة. لكن فجأةً، انحرفَت العربة يسارًا، فأغلقَت الطريق أمام نصف النقل، ولم يكن أمام «رشيد» إلا طريقان: إما أن يصطدمَ بالسيارة، وإما أن يصطدم بالسور الحديدي الرفيع الموجود على يساره، والذي يفصل بين اتجاهَي الطريق.

وبسرعة قرَّر أن يصطدمَ بالحاجز الحديدي؛ لأنَّه إذا اصطدم بالعربة، فسوف تتحطم نصف النقل ومَن فيها. في نفس اللحظة التي انحرف فيها «رشيد» إلى الحاجز الحديدي، قفز «أحمد» قفزةً رشيقة، فنزل على سُلَّم العربة، بجوار باب الكابينة. فجأةً، كان السائق يفتح البابَ في عنف، ليصدمَ «أحمد» ويمكن أن يُطيحَ به في الهواء. إلا أنَّ «أحمد» كان قد توقَّع هذه الحركة فأحكم قبضتَه على الباب. أغلق السائقُ البابَ مرة أخرى، فعاد «أحمد» معه. وفي لحظة، كانت ضربة قوية قد خرجَت من يد السائق إلى وجه «أحمد».

لقد كان السائق يتصرَّف بسرعة مذهلة. تلقَّى «أحمد» الضربةَ وشعر أنَّ ثقلًا هائلًا قد صدَم وجهَه. لكن الضربة برغم قوتها، لم تجعل «أحمد» يترك الباب، فقد ظلَّ متشبثًا به، في نفس اللحظة، كان «بو عمير» و«خالد» قد وصلَا إلى الكابينة. فنزل «خالد» بسرعة إلى باب العربة الأيمن. فجأةً، انحرفَت السيارة يسارًا، ثم يمينًا. وظلَّ السائق ينحرف بها يمينًا ويسارًا حتى لا يُعطيَ فرصةً لـ «أحمد» أو «خالد» أن يُحقِّقَا أيَّ تصرُّف. ثم فجأة، فرملَ فرملةً حادة، تردَّد صوتُها في الليل، ثم انطلق مرة أخرى، وكانت هذه الحركة كفيلةً بأن تُطيحَ بـ «أحمد» و«خالد» إلى الأرض. إلا أنَّ «بو عمير» كان لا يزال متشبثًا بالسقف، فلم يسقط. في الوقت الذي كان يجري فيه هذا الصراع. استطاع «رشيد» أن يُعيدَ نصف النقل مرة أخرى إلى الطريق. فقد كان الحاجز الحديدي ضعيفًا. ولم يكن سوى علامة تفصل جانبَي الطريق. في نفس الوقت، كانت سيارة المجموعة الأولى من الشياطين قد

اقتربَت، ظلَّت في تقدُّمِها خلف العربة. في حين حملَت نصف النقل «أحمد» و«خالد» اللذَين لم يُصبْهما ضررٌ كبير.

كان الجميع يراقبون «بو عمير» وهو يكاد يطير فوق سطح العربة لشدة سرعتها. فكَّر «بو عمير» قليلًا، وقال في نفسه: إنَّ هذه هي الفرصة الأخيرة، وهي تحتاج لسرعة في التوقيت والتنفيذ.

أخرج من جيبه كرةً من كرات الغاز، ثم لوَى جسمه في رشاقة رائعة، وألقى الكرةَ من نافذة العربة، في اتجاه السائق. مرَّت دقيقة، ثم سَمِع صوتَ السائق يَسعُل. وبدأَتِ العربةُ تفقد توازنَها، وفي براعةٍ، لوَى جسمَه مرة أخرى، ثم انزلق من نافذة العربة فأصبح بجوار السائق. قبل أن يحاول أيَّة حركة، ضربَه ضَرْبةً سريعة جعلَتْه يصطدم بالباب المجاور. أمسك «بو عمير» عجلةَ القيادة بيدٍ، ثم صوَّب ضربةً أخرى إلى الرجل الذي كان لا يزال يَسعُل. في نفس اللحظة، فتح باب العربة، ثم ضرب السائق ضربةً قوية، جعلَت الرجل يسقط من الباب. اعتدل بسرعة وأحكم قبضتَه على عجلة القيادة. أما نصف النقل وسيارة الشياطين فقد شاهدوا من خلال زجاج سيارتهما سائقَ السيارة وهو يطير في الهواء، ثم يسقط على الأرض بلا حَراك.

قال «أحمد»: لقد تصرَّف «بو عمير» بشكل جيد.

لكن فجأة، ظهرَت عربةُ نقل تسير في الاتجاه المعاكس المقابل لعربة النقل ...

صاح «خالد»: كارثة سوف تحدث.

أسرع «رشيد» بالانحراف يسارًا. فقد توقَّع ما سوف يفعله «بو عمير»، فعندما اقتربَت العربة المقابلة، لتصطدم بعربة «بو عمير» انحرف يسارًا إلى الحاجز الحديدي، فحطَّم جزءًا منه. في نفس الوقت، تفادَى العربة المقابلة، ثم عاد بسرعة إلى الطريق. كانت لحظةً سريعة مثيرة، راقبها الشياطين بخوف، فمَن يدري ماذا يمكن أن يحدث لـ «بو عمير»، لو أنَّه تصرَّف تصرُّفًا آخر.

في النهاية، توقَّفت العربة، في حين وصلت إليها المجموعتان، بالعربة نصف النقل والسيارة، قفز الشياطين بسرعة، ونزل «بو عمير»، أما «جان بريم» فقد كان يرقد مغمًى عليه. انتقل الجميع إلى سيارة الشياطين. التي انطلقت في اتجاه باريس. وبسرعة، لا يمكن أن يلحق بها أحد.

ضحك «أحمد» وقال: لقد أنهينا العملية رقم «٢»، لكن أفكر في شيء آخر.

سأل «عثمان»: ما هو؟

قال «أحمد»: سوف أُخبركم به، عندما نَصِل إلى باريس.

ضغط «خالد» زِرَّ الراديو، فانسابت موسيقى هادئة، واستغرق الشياطين في أفكارهم حول ما قاله «أحمد».

أما «جان بريم» فقد فتح عينَيه وابتسم، ثم استغرق في النوم. وعلى مشارف باريس كان الفجر قد بدأ يُغطِّي الوجود. وكان الشياطين في حاجة إلى النوم، بعد هذا الصراع الطويل.

هنـــداوي